توجيه معنى رؤيا الذات الإلهية في المعجم العربي القديم

م . م . رعد ثامر لفتة
المديريةُ العامة لتربية محافظة البصرة

خلاصة البحث:

يَهدْفُ البحثُ إلى التعرفِ على مَعنى رُؤيا الذات الإلهية في المعجم العربي القديم، ومعرفة أثر المسألة العقدية في المعجمات ، نتيجة لتأثر أصحابها بها ، ويستعرض بعض الادلة، التي استدل بها اصحاب كل مذهب من هذه المذاهب ، سواء أكانت نصوصاً قرآنيةً، ام أحاديث نبوية شريفة ، بدءاً من ابناء السلف ، ثم المعتزلة ، ثم الامامية .

الكلمات المفتاحية: توجيه معنى رؤيا الذات الإلهية، المعجم العربي القديم.

Exploring the Meaning of the Divine Self-Perception in the Ancient Arabic Lexicon

Asst. Lect . Raad Thamer Lafta
General Directorate of Education Basra

Abstract:

The research aims to explore the meaning of the divine self-vision in the ancient Arabic lexicon and understand the impact of theological issues in lexicons. This is a result of their compilers' influence, and it reviews some evidence presented by adherents of each doctrine, whether Quranic texts or noble prophetic traditions. This includes followers of the Salaf, then the Mu'tazilites, and finally the Imamiyyah.

Keywords: Conceptualization of the divine self-vision, ancient Arabic lexicon.

توجيه معنى رؤيا الذات الإلهية في المعجم العربي القديم

توجيه معنى النظر في المعجم العربي القديم

النظر الى الله – سبحانه وتعالى – ورؤيته يوم القيامة من المسائل العقدية المهمة التي انشغل بها المسلمون على اختلاف مذاهبهم ، وتباين عقائدهم، فمنهم من آمن بها، وصدقها، وحملها على الحقيقة من غير تأويل، أو تفسير نصوص القران الكريم، ثم ساق الادلة، والبراهين، والحجج ، لاثباتها ، والدفاع عنها فأخذت هذه المسألة مأخذها من اهتمام المؤمنين بها ، حتى جعلوا منها علماً يمتازون به عن غيرهم ، وفيصلاً يفصل بينهم وبين غيرهم من طوائف المسلمين ، بل زادوا من اهميتها ، فجعلوها من ضمن الركن الاول من اركان الايمان ، وهو التوحيد الذي يتضمن توحيد الله سبحانه وتعالى في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته وهي داخلة ضمن النوع الاخير، والذين يمثلون هذه الفئة من المسلمين هم ابناء السنة والجماعة[١].

أما الفئة الثانية من المسلمين فرفضت ان تكون الرؤية لله عز وجل على الحقيقة؛ لأن ذلك ينافي التوحيد، ويقدح في التنزيه، وبالنتيجة يؤدي الى التشبيه، والتمثيل وهذا بدوره يؤدي الى الشرك، ومن أجل ذلك أولوا النصوص القرآنية الكريمة ، التي تدل في ظاهرها على تحقق الرؤية لله سبحانه وتعالى، وفسروها تفسيراً عقلياً ينسجم مع ما تنطوي عليه عقيدتهم من افكار، مقدمين أدلتهم، وحججهم لإثبات ذلك ، والذين يمثلون هذه الفئة من المسلمين: المعتزلة، والإمامية .

ولكي يتسنى لنا معرفة أثر هذه المسألة العقدية في المعجمات ، نتيجة لتأثر أصحابها بها ، نعرض بعض الادلة، التي استدل بها اصحاب كل مذهب من هذه المذاهب ، سواء أكانت نصوصاً قرآنيةً ، ام أحاديث نبوية شريفة ، بدءاً من ابناء السلف ، ثم المعتزلة ، ثم الامامية .

أولاً : دلائل أثبات الرؤية في عقيدة أبناء السنة والجماعة :

أسْتَدلَ أهلُ الحديثِ على جواز رؤيته تعالى ، بآيات كريمة ، وأحاديث شريفة ، منها قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة : ٢٢-٢٣) ، فالأولى بالضاد ، والثانية بالظاء ، والكلام والتفسير في الثانية، فيرى علماء اهل الحديث ان تفسير (نَاظِرَةٌ) بمعنى منتظرة غير صحيح، لأنه يتنافى مع نظام اللغة العربية، ولا ينسجم في منهجها ، لما فيه من تعارض مع قواعدها التي من خلالها يُستدل على معاني الكلام، وبها يعرف غاية المرام ، فإذا كان الفعل(نظر) دالاً على الانتظار، أكتفى بنفسه، ولم يحتج الى صلةٍ يتعدى بها الى معموله، أما اذا لم يكن كذلك، احتاج الى الصلة ، فيتعدى بحرف الجر (إلى) إذا كان الفعل (نظر) بمعنى أبصرَ ، ويتعدى بحرف الجر (في) أذا كان بمعنى التفكر، أو الاعتبار ، ويتعدى بحرف الجر (اللام) إذا كان بمعنى الرحمة، والرأفة، والتعطف، والانعام. وقد جاء في الآية الكريمة التي سبق ذكرها متعدياً بحرف الجر (الى) ، وعليه لا يكون تفسيره الا بمعنى الإبصار.

يقول ابن بطة ت(٣٨٧ هـــ) : " ليس يجوز عند أحدٍ ممن يعرف لغات العرب ، وكلامها ان يكون معنى قوله تعالى : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ الانتظار، الا ترى انه لا يقول احدُ : إني أنظر إليك ، يعني : أنتظرك ، وإنما يقول : أنتظرك ، فإذا دخل في الكلام (إلى) ، فليس يجوز أن يعني به غير النظر ، يقول: أنظر اليك، وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، ولو اراد الانتظار، لقال: لربها منتظرة، ولربها ناظرة"[٢] .

وقد ورد الفعل (نظر) بمعنى الانتظار ، الا انه قد تعدى بحرف الجر (إلى) ، وذلك في قوله تعالى ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ (البقرة : ٢٨٠)، ما دعا الامام احمد بن حنبل ت (٢٤١ هـــ) أن يسند دليلاً اخر ليثبت أن المقصود من قوله تعالى :﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ هو النظر الى الله سبحانه يوم القيامة، والدليل هو اذا اقترن الفعل (نظر) بالوجه، فإن المعنى يكون : هو الابصار، اذ " كان يذهب الى ان الله تعالى يرى في الاخرة بالإبصار ، وقرأ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ولو لم يرد النظر بالعين ، ما قرنه بالوجه "[٣].

توجيه معنى التجلي والزيادة في المعجم العربي القديم

ومن الادلة الاخرى التي استدل بها أبناء السلف على الرؤية له سبحانه قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الاعراف : ١٤٣)، فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها موسى عليه السلام؛ لأنه إما أن يكون عالماً بامتناعها، والعاقل لا يطلب إلا ما كان مسموحاً بطلبه، أو أن يكون جاهلاً، وحاشى أنبياء الله تعالى من الجهل[٤]، وبهذا يكون معنى الآية دالاً على ان موسى عليه السلام قد طلب من الله تعالى أن يراه رؤية النظر، والابصار. كذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ فمعناها : أنه تعالى (ظهر ، وبان)[٥]، لأن معنى التجلي : هو الانكشاف ، والظهور ، وهذا لا يحصل إلا ان يكون مرئياً . كذلك من الادلة التي يستدل بها على رؤيته تعالى عند أهل الحديث ، قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس : ٢٦) ، فمعنى الحسنى : الجنة ، ومعنى الزيادة : رؤيته جلَ وعلا. والادلة كثيرة في مسألة النظر عند أبناء السنة، والجماعة، والحديث عنها مستفيض في المصادر والبحوث التي تهتم بدراستها ولكن ذكر ما انسل منها الى متون المعجمات، التي الفها علماء اللغة من ابناء السلف، نتيجة لتأثرهم بها ، فلهذه العقيدة اسقاطات واضحة، واثار جلية، لا تخفى على قارئ ، أو مطلع على المعجم العربي في مراحله جميعها، وقد جاء في القديم منها، إذ يقول الإمام أبو منصور الأزهري(ت ٣٧٠ه – ٩٨١م): في معجمه تهذيب اللغة في مادة (جلا)، ونقله عنه من سار على نهجه، ووافقه في العقيدة من أصحاب المعجمات، كأبن منظور(ت ٧١١ه– ١٣١١م) في لسان العرب وقول الله جل وعز:" فلما تجلى ربه للجبل حدثني المنذري ، وعن أبي بكرٍ الخطابي، عن هُدية، عن حماد، عن ثابتة، عن أنس ، قال : قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما تجلى ربُه للجبل جعله دكاً، قال : وضع ابهامه على قريبٍ من طرفِ أُنملةِ خنصره، فساخ الجبل. قال حماد : قلت لثابتٍ : تقول هذا؟ فقال رسول الله ، ويقوله انس ، وانا اكتمه . وقال الزجاج في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ أي ظهر، وبان، وهو مذهب أهل السنة والجماعة"[٦]. فالأزهري جاء بحديثٍ مسندٍ عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) مفاده : "أن لله تعالى صفاتٌ خبريةٌ يمكن أن تُرى بالإبصار ، ثم جاء بالتفسير الذي فسره الزجاج لمعنى (التجلي)، ليكون بمعنى : الظهور والبيان ، أي : أنه بدى واضحاً للرؤية بالعين ، ثم أثبت ذلك في عقيدته التي دعته إلى هذا التفسير، فقال: (وهو مذهب أهل السنة والجماعة). وكذلك ما جاء في مادة (حَسُنَ) ، إذ بدت العقيدة واضحة في التفسير، وقال المفسرون في قول الله عز وجل : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس : ٢٦) ، فالحسنى: هي الجنة، وضد الحسنى: السوء، والزيادة : النظر الى الله جل وعز"[٧]. وقد ذكرنا في الآية الكريمة، وأشرنا سابقاً الى انها من الادلة التي استدل بها اهل الحديث على الرؤية ، وما جاء بها الى هذا المعجم إلا ايمان المصنف بهذه العقيدة. وكذلك نجد دليل الرؤية الاخر حاضراً في التهذيب، اذ يقول: في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، "الاولى بالضاد، والاخيرة بالظاء ... قلت ومن قال : إن معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى : منتظرة ، فقد أخطأ ، لأن العرب لا تقول : نظرت الى الشيء بمعنى : انتظرته ، إنما تقول: نظرتُ فلاناً، أي أنتظرته، ومنه قول الحطيئة:

وقد نظرتكم أبناء صادرةٍ للورد طال بها حوزي وتنساسي

فإذا قلت : نظرت اليه لم يكن إلا بالعين ، واذا قلت : نظرت في الامر: أحتمل أن يكون تفكراً ، وتدبراً بالقلب"[٨]. فاحتج بالقاعدة النحوية التي مرَ ذكرها انفاً ، وهي أن الفعل (نظر) إذا تعدى بحرف الجر (إلى) دلَ على الرؤية ، والابصار وهو في هذا التفسير قد وافق مذهبه السلفي في تفسير معنى الفعل . وقد احتج منكروا الرؤية ، وهم المعتزلة ، والامامية ، ومن سار على منهجهم ، على اهل الحديث بقوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(الانعام : ١٠٣)، فمعنى الادراك إذا أقترن بالبصر: هو الرؤية، فلو قال قائل ادركته ببصري معناه رأيته وهذا يفهم من سياق الآية المباركة[٩]. أما أهل السلف ، فأنهم فسروا الادراك بمعنى : الاحاطة ، وهو لفظ يغاير معناه معنى الرؤية ، وقد يحصل الادراك بدون الرؤية، أو تحصل الرؤية بدون الادراك، وعلى هذا التفسير ليس في الآية ما يدل على نفي الرؤية. وعوداً على متون المعجمات، وأخصُ بذلك اللسان ،وتاج العروس، والتهذيب، نجد هذه المسألة حاضرةً فيهن، إذ يقول أبو منصور الازهري: " فأما ما جاء من الاخبار في الرؤية، وصحَ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فغير مدفوع ، وليس في هذه الآية دليل على دفعها ؛لأن معنى هذه الآية معنى ادراك الشيء، والاحاطة بحقيقته، وهذا مذهب أهل السنة، والعلم بالحديث"[١٠]، ففسر الأزهري الادراك بمعنى الاحاطة، تبعاً لمذهبه، وهذا كله موجود في اللسان، والتاج.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٨ - كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

وخلاصة القول في هذا المطاف ان علماء اللغة من اهل الحديث فسروا الالفاظ الاتية التي وردت في بعض آيات القران الكريم ، بما يناسب عقيدتهم التي هي عقيدة أهل السلف :

١- تجلى : ظهر ، وبان .

٢- الزيادة : النظر إلى الله جل وعز .

٣- ناظرة : مبصرة .

٤- أدرك : أحاط .

أما الفئة الثانية من المسلمين فَهُما المعتزلة، والإمامية اللتان اعتمدتا النظر العقلي في تأويل كل ما لا ترياه مناسباً في وصف الله تعالى ، وتنزيهه عن كل ما يليق بذاته سبحانه، كي لا تقعا في التشبيه، والتمثيلِ الذي يؤدي إلى الإحاطةِ به عزَ وجل، ومن ثَمَّ يؤدي إلى الكفر، من أجل ذلك أستدلتا بأدلة عقليةٍ بموجبها يمتنع أن يكون الله تعالى مرئياً في الدنيا، أو في الاخرة؛ لأن ذلك يستلزم أن يكون المرئي بالإبصار جسماً واقعاً في جهة، ومكان وأن يكون مقابلاً للرائي، وبينهما مسافة خاصة، وهذا مما يمتنع على الله تعالى .

يقول القاضي عبد الجبار(ت ٤١٥ه): "كذلك إذا كان جسماً ، تجوز عليه الحاجة ، وتجوز عليه الزيادة، والنقصان ، واذا جازت عليه الحاجة جاز أن يجور في حكمه، ويكذب في خبره ، تعالى عن ذلك"[١١]. كذلك أن المرئي إذا تمكن الرائي من رؤيته ، فأنه يكون محدوداً، ومتناهياً ، وعليه يمكن أن يشار إليه بالأصبع. كذلك أن الرؤية بالعين الباصرة لا يمكن أن تتحقق إلا بوقوع النور على المرئي ، وانعكاسه منه الى العين، والله تعالى منزه عن كل ذلك[١٢].

توجيه معنى الرؤيا والبصر

أما الادلة بالنصوص القرآنية الكريمة قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام : ١٠٣)، يقول القاضي عبد الجبار: " وأدراك البصر، ورؤية البصر ، سواءٌ في اللغة لا يختلفان "[١٣]. كذلك أن الآية الكريمة قد قرنت الإدراك بحاسة البصر، وبهذا تحول من المعنى العام إلى المعنى الخاص بتعيينه بالإبصار، وعليه يكون المراد منه الرؤية بالعين. والادلة كثيرة على نفي رؤية الله تعالى فمن أراد أن يستزيد منها، فأنه يجدها في المصادر الخاصة في هذه المسألة. ولكن الذي يهمنا أن مسألة نفي الرؤية لذاته تعالى، قد انسلت أيضاً إلى متون المعجمات ، التي الفها من تأثر بهذه العقيدة ، فلو أمعنا النظر في معجم أساس البلاغة ، نجد أن الزمخشري ت (٥٣٨ هـ) قد ضمنها في معجمه، بإشارات تبدو غير واضحة على العامة، ولكنها لا تخفى على من أطلع على عقيدة الاعتزال، يقول الزمخشري في مادة نظر: " وأنا أنظر إلى الله، ثُمّ اليك، معناه : أتوقع فضل الله ، ثم فضلك، وسمعتُ صبيةً سرويةً بمكةَ تقول : عُيينتي نويظرةٌ إلى الله ، واليكم[١٤]. فتفسيره (النظر) بمعنى : (التوقع) هو رفض ، ونفي للرؤية بالإبصار لله تعالى والذي يؤكد ذلك ، أننا إذا رجعنا إلى تفسيره (الكشاف) ، وحققنا النظر في تفسير الآية الكريمة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، نجد ما أستشهد به من قول ، وما فسره من تفسير في معجمه ، حاضراً في تفسيره للقران الكريم ، إذ نفى أن يكون معنى ناظرة: مبصرة ، إذ يقول: "فاختصاصه بنظرهم

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٨ - كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

إليه ، لو كان منظوراً إليه محال ، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس : أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي : تريد التوقع ، والرجاء ... وسمعت سرويةً مستجديةً بمكةَ وقت الظهر ، حين يغلق الناس أبوابهم، ويأوون الى مقائلهم ، تقول : عيينتي نويظرة إلى الله واليكم ، والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة ، والكرامة إلا من ربهم ، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ، ولا يرجون إلا إياه"(١٥).

وخلاصة القول : إنَّ الزمخشري قد فسر معنى النظر بمعنى: التوقع ، ليتلاءم مع ما يعتقد به من نفي للرؤية البصرية لله تعالى يوم القيامة، وهو إعتقاد مذهب المعتزلة. أما مذهب الإمامية فمنهجهم يقوم أيضاً على التأويل، وأتباع العقل في نفي كل ما لا يليق بالله تعالى من صفات، قد يؤدي حملها على ظاهر لفظها إلى التجسيم، ولكنهم اختلفوا في تفسير بعض الالفاظ التي وردت في بعض آيات الصفات في القران الكريم عن المعتزلة الذين كانوا في طليعة الفرق التي اعتمدت النظر العقلي في التفسير. ويمكن أن نكتشف التفسير اللغوي الخاص بالمذهب الإمامي من خلال الرجوع إلى كتبهم ، وتفاسيرهم ، ومطابقتها مع ما جاء في المعجمات ، التي ألفها أصحاب المذهب الشيعي، وعلى هذا، فأن التطابق الحاصل بينهما يكون دليلاً واضحاً على تأثير عقيدة المصنف في معجمه ، من ذلك نذكر ما جاء في تفسير التبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت (٤٦٠ هـــ)، إذ يقول في تفسير الآية الكريمة: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ (الأعراف : ١٤٣) ، " معناه ظهر بآياته التي أحدثها في الجبل بأن {جعله دكاً } ... كما قيل : أنه أبرزَ الخنصر من العرش ... والتجلي هو الظهور"(١٦). وكذلك إذا رجعنا إلى تفسير مجمع البيان في تفسير القران للعلامة الطبرسي:(ت ٥٤٨) ، في تفسير الآية الكريمة سابقة الذكر ، نجد أنه يقول : " وتقديره جلى ربه أمره للجبل ، أي : أبرز في ملكوته للجبل ما تدكك به ، ويؤيده ما جاء في الخبر : أن الله تعالى أبرز من العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل ... وقال الحسن : لما ظهر وحي ربه للجبل ... "(١٧). وإذا نظرنا في المعجمات ، وتأملنا في تفسير مادة (جلو) في معجم العين للفراهيدي : (ت ١٧٥ هـــ) تظهر العقيدة ، ولكن بشيءٍ من التحفظ ، إذ يقول : " قال الله عز وجل : (فلما تجلى ربه للجبل) ، أي : ظهر ، وبان ، وقال الحسن : تجلى ، أي : بدا للجبل نور العرش "(١٨). فتأمُّلُ قوله وتدبره يجعله ما جاء في التفسيرين القرآنيين من أقوالٍ ، ونجد أن التفسير اللغوي عند الخليل ، والتفسير القرآني عند الطوسي ، والطبرسي متشابهان، فقد فسروا التجلي : بأنه الظهور ، ثم أُولوا المعنى بما ينسجم مع العقيدة الإمامية، ففي معجم العين معنى تجلى : بدا للجبل نور العرش، وعند الطوسي في تبيانه معناه : ظهر بآياته التي أحدثها في الجبل ، وعند الطبرسي في مجمعه : أبرز في ملكوته للجبل ما تدكك به، وهي معانٍ لا تبتعد كثيراً بعضها عن بعض ، والذي قربها هو الإيمان بعقيدة واحدة ، و هي القاسم المشترك بينهم في التفسير، ولكن يظهر أثر العقيدة في تفسير هذه اللفظة (تجلى) بشكل أوضح ، في معجم مجمع البحرين لفخر الدين الطريحي: (ت ١٠٥٨)، إذ لا نجد فرقاً في التعبير بين التفسيرين العقدي ، واللغوي، إذ يقول في معجمه عندما يستشهد بالآية القرآنية الكريمة التي ذكرناها على معنى التجلي: " أي ظهر بآياته التي احدثها في الجبل ، والتجلي هو الظهور "(١٩).

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٨ - كانون الأول السنة ٢٠٢٣

وعند النظر في العبارة ، ومقابلتها مع ما جاء في تفسير البيان للطوسي ، سنجد أن القول هو القول ، والعبارة هي العبارة ، فليس هناك فرق بينهما، وهذا التمسك بالتفسير العقدي ، ونقله إلى المعجم نتيجة تمسك الطريحي بعقيدة الإمامية ، وكذلك لو قابلنا روايته فيما جاء من الحديث ، التي بموجبها يُحمل التجلي على التأويل ، بهدف الابتعاد والتنحي عن الرؤية البصرية ، التي تؤدي إلى التجسيم ، إذ يقول : " وفي الحديث : أنه برز من نور العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل"(٢٠). وهذه العبارة هي أيضاً لو قابلناها مع ما جاء من تفسير في مجمع البيان ، نجد أنها عبارة متطابقة بالنص، وهذا يدل على أن الفعل (تجلى) الذي ورد في الآية الكريمة السابقة ، فسر في معجم مجمع البحرين تفسيراً عقدياً لتأثر مصنفه بالعقيدة الإمامية .

لو تأملنا في تفسير الفعل (نظر) في الآية المباركة :﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، في التفسيرين السابقين يتبيّنَ لنا معنى الفعل في التفسير العقدي الذي ينطلق من مفاهيم المذهب الإمامي ، ثُمَّ نلحظ التوافق بينه وبين التفسير المعجمي الذي يعني تأثر أحدهما بالآخر.

يقول صاحب تفسير التبيان في هذه الآية الكريمة : "﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ معناه : منتظرة نعمة ربها، وثوابه أن يصل اليهم ... والنظر هو تقليب الحدقة الصحية نحو المرئي ، طلباً للرؤية ، ويكون النظر بمعنى الانتظار، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل : ٣٥)، أي منتظرة، وقال الشاعر :

وجوهٌ يوم بدرٍ ناظرات إلى الرحمن تأتي بالفلاح

أي : منتظرة للرحمة التي تنزل عليهم ، وقد يقول القائل : إنما عيني ممدودة إلى الله ، وإلى فلان، وأنظر اليه أي : أنتظر خيره ، ونفعه ، وأؤمل ذلك من جهته ... وليس النظر بمعنى الرؤية أصلاً ، بدلالة أنهم يقولون : نظرت إلى الهلال فلم أره ، فلو كان بمعنى الرؤية لكان متناقضاً، ولأنهم يجعلون الرؤية غايةً للنظر يقولون : ما زلت أنظر إليه حتى رأيته ، ولا يجعل الشيء غايةً لنفسه ، لا يقال : ما زلت أراه حتى رأيته ... ودخول (إلى) في الآية لا يدل على أن المراد بالنظر الرؤية ، ولا تعليقه بالوجوه يدل على ذلك ، لأنا انشدنا البيت ، وفيه تعليق النظر بالوجوه ، وتعديه بحرف (إلى) ، و المراد به الانتظار ... ولو سلمنا أن النظر يعد الرؤية لجاز أن يكون المراد أنها رؤية ثواب ربها ؛ لأن الثواب الذي هو أنواع اللذات من المأكول ، والمشروب ، والمنكوح تصحُ رؤيته ، ويجوز أيضاً أن يكون (إلى) واحد، وفي واحدها لغات (ألا) مثل (قفا)، و (الى) مثل (معى) ،و (إلى) مثل (حدى) ، و (إلى) مثل (حسى) ، فإذا أضيف الى غيره سقط التنوين، ولا يكون (إلى) حرفاً في الآية ، وكل ذلك يبطل قول من أجاز الرؤية على الله تعالى " (٢١) .

نلاحظ في هذا التفسير أنه أَوَّلَ (ناظرة) بمعنى : المنتظرة ، وقدم الشواهد القرآنية ، والشعرية، وأقوال العرب ، لإثبات ذلك. ثُمّ أُنْتقل إلى نفي أن يكون معنى (ناظرة) رائية مبصرة ، فإن كان لازماً أن يكون المعنى: رائية، فيجوز أن يكون هناك حذف للمضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، فيكون التقدير: ناظرة إلى ثواب ربها، أو أن يكون الحرف (إلى) أسماً مفرداً بمعنى : النعمة، الذي يجمع على الاء. وكل ما جاء به المفسر من أدلةٍ ، وحجج غايته نفي الرؤية البصرية عن الله تعالى . وإذا نظرنا في مجمع البيان ، وتأملنا تفسيره في هذه الآية المباركة ، نجده لا يختلف عن التبيان ، بل يتفق معه في معنى (ناظرة) : المنتظرة ، إذ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٨ - كانون الأول السنة ٢٠٢٣

يقول: " والنظر : تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي ، جلباً لرؤيته ، ويكون النظر بمعنى: الإنتظار، كما قال عنه عزَ شأنه: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ ﴾، أي : بمنتظرة ، وقال الشاعر :

وجوه يوم بدرٍ ناظرات الى الرحمن تنتظر الفلاحا "[٢٢].

من التفسيرين السابقين نجد أن الراجح في تفسيره (ناظرة) التي وردت في الآية الكريمة هو: الانتظار. فإذا تأملنا، ونظرنا في المعجمات التي صنفها علماء اللغة من الإمامية ، كالعين ، ومجمع البحرين، نجد العقيدة ظاهرة فيهما بوضوح ، غير خافية على من يطلع عليهما ، من ذلك ما جاء في معجم العين للفراهيدي : " ويقول القائل للمؤمّل يرجوه : إنما أنظر إلى الله ثم اليك ، أي : أتوقع فضلك"[٢٣]. فقد فسر النظر الى الله تعالى بمعنى : التأمل ، والتوقع للفضل ، وهذا لا يختلف عما جاء في تفسير التبيان ، ولا يبتعد كثيراً عن تفسير مجمع البيان ، فهذا التقارب الحاصل بين التفسير العقدي ، والمعجمي دليلٌ على تأثر الفراهيدي بهذه العقيدة ، التي تؤمن بالنظر إلى الله تعالى من الإمور التي لا يمكن حملها على ظاهرها ، وإنما يجب الإحتكام فيها إلى العقل ، لتنزيهه تعالى عن التشبيه ، والتمثيل . وعند الرجوع إلى معجم مجمع البحرين للطريحي، ستجد عقيدته موافقة تماماً لعقيدة من سبقه من أئمته، إذ تطابق ما جاء في التبيان، فيقول في معجمه: " نظر: قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ والمعنى : وجوه يومئذٍ حسنةٌ مشرقةٌ ، تنظر إلى رحمة ربها لا غير ذلك ، ويحتمل أن يكون (إلى) اسماً لواحد الالاء ، وهي النعمة ، لا حرف جر ، فكأنه قال : ناظرةٌ نعمةَ ربها "[٢٤]. فهو يرجح ، ويؤكد بقوله: (لا غير ذلك)، أن معنى الآية يكون على تقدير مضاف محذوف، وهو الرحمة. ثم يتناغم مع استدلالات الشيخ الطوسي ولاسيما في تقدير معنى (إلى) بالنعمة، على أن الابصار حاصل بالعين المبصرة ، وكل ذلك من أجل توافق العقيدة مع التفسير اللغوي.

وكذلك لو نظرنا في تفسير الآية الكريمة ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(الأنعام: ١٠٣)، ليتبين لنا معنى الإدراك في العقيدة ، ونتحقق منه ، ليتضح لنا أنه انتقل منها إلى متن المعجم العربي ، الذي ألفه الإمامية . يقول الشيخ الطوسي في تبيانه: " في هذه الآية دلالة واضحة على أنه تعالى لا يُرى بالإبصار ، لأنه تمدح بنفي الادراك عن نفسه ... وأيضاً فإن الإدراك إذا أضيف إلى واحد من الحواس ، أفاد ما لتلك الحاسة الة فيه ... وكذلك أدركته ببصري ، يريدون رأيته ... وقولهم : أن الإدراك هو الإحاطة باطل ، لأنه لو كان كذلك لقالوا : أدرك الجراب بالدقيق ، وأدرك الحب بالماء ، وأدرك السور بالمدينة ، لإحاطة جميع ذلك بما فيه ، والأمر خلاف ذلك"[٢٥]. وكذلك ما جاء في مجمع البيان : " ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ أي : لا تراه العيون ؛ لأن الإدراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه إلا الرؤية... { وهو يُدْرِكُ الْأَبْصَارُ } تقديره : لا تدركه ذوو الابصار ، وهو يدركُ ذوي الأبصار ، أي المبصرين ، ومعناه : أنه يرى ، ولا يُرى ، وبهذا خالف سبحانه وتعالى جميع الموجودات ... "[٢٦]. فلو قابلنا ما جاء في التفسيرين، مع ما ذكره الطريحي في معجمه من تفسير لمعنى الإدراك ، نجد أثر العقيدة واضحاً، إذ يقول : " قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ ، أي لا تراه الأبصار، وهو يراها"[٢٧]. فأثر العقيدة لا يكاد يخفي في تفسير معنى الادراك في المعجم، إذ فسره بمعنى: لا تراه الابصار. وبهذا تكون المفردات التي تأثر تفسيرها اللغوي بعقيدة مصنفوها الشيعة كالآتي :

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٨ - كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

١- تجلى : بدا للجبل نور العرش ، أو ظهر بآياته التي أحدثها في الجبل.
٢- ناظرة : متأملة ، ومتوقعة فضل الله تعالى ، أو ناظرة نعمة ربها .
٣- الى : أسم مفرد يجمع على (الاء) ، ويعني النعمة .
٥- ادرك : أبصر.

الخاتمة

١- التعرف على معنى رؤيا الذات الإلهية في المعجم العربي القديم. ومعرفة الله سبحانه وتعالى ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).
٢- هُناكَ إرتباط بينَ الدلالةَ المعجميةِ والاستعمال اللّغوي للدال، وهذا لا يتضحُ إلاّ بالموازنة بينَ دلالةِ الفعلِ في المعجمِ ، ثمَّ استعماله اللغوي عند الجماعةِ اللّغوية.
٣- للعقيدة اسقاطات واضحة في متون المعاجم القديمة، ادى إلى تفسير الألفاظ التي وردت في بعض آيات القرآن الكريم بما يناسب عقيدتهم.
٤- تَنَوع دلالاتُ الفعلِ الحَركِي، فالكلمةُ بمعزلٍ عن السياقِ لاْ معنى لها، أيّ: أنّها تحملُ معانٍ عدّة. وبتنوع السياق تتنوع دلالة الفعل.
٥- التوافق بين التفسير العقائدي والمعاجم القديمة .
٦- منْ خصائصِ الفعلِ الحركي ما يُحدثـُه من تَجدد وفاعليـة وحياة داخـل النص، إذ يشخص بعض الظواهر المعنوية ، ويحول المجرد إلى محسوس.

الهوامش

(١) ينظر : شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ج : ٣ ، ص : ٥٠٥ ـــــ ٥٠٦ ، الاثر رقم ٨٨٣ .
(٢) أبن بطة : عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان ، الابانة الكبرى : ج : ٧ ، ص : ٧٤ ، ت : وليد محمد نبيه، سيف نصر ، دار الراية – الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٨ هـ .
(٣) العقيدة : ١١١ .
(٤) ينظر :بحوث في الملل والنحل : ٣ / ٢٠٩
٥ تهذيب اللغة ١١ / ١٨٦ ، مادة : جلا .
٦ المصدر نفسه ١١ / ١٨٥ ، مادة : جلا . ولسان العرب :ص ٥٠، وتاج العروس ٣٧ / ٣٦٣ ، مادة : جلا .
٧ تهذيب اللغة ٤ / ٣١٥ ، مادة : حَسُنَ . ولسان العرب ص٢٤.
٨ تهذيب اللغة ١٤ / ٣٧١ ، مادة : نظر . ولسان العرب: ص ٦٦٥
٩ ينظر : بحوث في الملل والنحل ٢ / ٢٢٧.
١٠ تهذيب اللغة ١٢ /١٧٨ ، مادة : بصر ، ولسان العرب: ص
١١ شرح الاصول الخمسة : ص : ٢٧٦ .
١٢ ينظر: بحوث في الملل والنحل ٢ / ٢٢٦ .

العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٢
مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية

[١٣] مختصر اصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد ١ /٢٢٠ – ٢٢١ .
[١٤] أساس البلاغة ٢ / ٢٨٣ ، مادة : نظر .
[١٥] الكشاف ٣ / ٢٩٤ ، في تفسير قوله تعالى (إلى ربها ناظرة).
[١٦] البيان في تفسير القران ٤ / ٥٣٦ .
[١٧] مجمع البيان ٣ / ٧٣١ –٧٣٢ .
[١٨] العين : ج:٦ ، ص : ١٨٠ ، مادة : جلو.
[١٩] مجمع البحرين ١ / ٣٠٨ ، مادة : جلا .
[٢٠] مجمع البحرين ١ / ٣٠٨ ، مادة : جلا .
[٢١] التبيان ١٠ / ١٩٨ .
[٢٢] مجمع البيان ٩ / ٦٠٠ .
[٢٣] العين ٨ / ١٥٦ ، مادة نظر .
[٢٤] مجمع البحرين ٣ / ١٧٩٩–١٨٠٠، مادة : نظر .
[٢٥] التبيان : ٤ / ٢٢٣–٢٢٤.
[٢٦] مجمع البيان : ج : ٣ ، ص : ٥٣٣.
[٢٧] مجمع البحرين : ٥٨٩/١ (درك).

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم.

- **الابانة الكبرى:** ابن بطة : عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، (ت: ٣٨٧ه – ٩٩٧م): وليد محمد نبيه وسيف نصر، دار الراية – الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- **أساس البلاغة** ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) ، دار ومطابع الشعب، القاهرة ،١٩٦٠م.
- **بحوث في الملل والنحل:** جعفر السبحاني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة السابعة، قم ،١٤٢٩ ه .
- **البيان في تفسير القرآن** : السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ، الطبعة الرابعة، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت – لبنان ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥ م.
- **تاج العروس من جواهر القاموس** : الإمام محب الدين ابو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي (ت: ١٢٠٥ه) ، دراسة وتحقيق: علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٩٤م– ١٤١٤.
- **التبيان في تفسير القران:** ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت: ٤٦٠هـ) ،تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي ط/١،دار احياء التراث العربي ١٤٠٩ هـ .

• **تهذيب اللغة** : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـــ) ،تحقيق: محمد عوض مرعب ، الطبعة: الأولى،، دار إحياء التراث العربي – بيروت،. ٢٠٠١م.
• **شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة:** هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري(ت: ٤١٨ه) ، دار ابن حزم ،٢٠٠٥م.
• **شرح الاصول الخمسة:** القاضي عبد الجبار بن احمد(ت: ٤١٥ه) ، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، القاهرة،١٩٩٦م.
• **العقيدة في ضوء الكتاب والسنة:** الدكتور عمر سليمان الاشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع الاردن، ط١، ١٤٣٧ه.
• **كتاب العين:** لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت: ١٧٤ه-٧٨٩هـــ) تحقيق: د٠ مهدي المخزومي ود٠ إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية إيران، مؤسسة دار الهجرة ١٤٠٩هـــ .
• **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ه) ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة ، ١٣٨٥ه – ١٩٦٦م.
• **لسان العرب** : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت: ٧١١هـــ)، ط٣، دار صادر – بيروت،. ١٤١٤ هـــ.
• **مجمع البحرين** : للعالم المحدث الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي ، (ت:١٠٨٥هـــ)، تحقيق: احمد الحسيني ، الطبعة الثانية . الناشر :مكتب نشر الإسلامية ،١٤٠٨ه.
• **مجمع البيان في تفسير القران** : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت:٥٤٨ه)، من أعلام القرن السادس الهجري ، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت –لبنان،١٤٢٥هـــ– ٢٠٠٥م.
• **مختصر أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد:** القاضي عبد الجبار بن احمد(ت: ٤١٥ه)، تحقيق: الدكتور محمد عمارة، مؤسسة دار الهلال، ط١، ٢٠٠٨م.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٣